

عرض: محمد هواس

«يوميات المقاومة في مخيم جنين ٢٠٠٢»، إعداد وتحرير وليد دقة، هو كتاب جديد صدر عن سلسلة التجربة الفلسطينية التي يحررها الزميل زكريا محمد في «مواطن» المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. ويقع الكتاب في ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط.

في هذه الشهادات محاولة تأسيس رواية فلسطينية لمعركة فاصلة، مع انها رمزية، في المواجهة الفلسطينية المحتدمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وفي الصورة الخلفية تظهر كم هي مهمة وعميقة، وتشكل مدرسة تجربة السجن بالنسبة للحركة الوطنية الفلسطينية في قدرتها على التسجيل والتوثيق والتأسيس لفعل قد يكون تاريخياً على بساطته. كما أشير إليها في مقدمتي المحرر والكتاب اللتين سبقتا الشهادات الأربع للحاج علي الصفوري، وجمال حويل، ويحيى محمد عبد الرحمن الزبيدي، وشهادة عبد الجبار خليل خصاص. والأربعة التقاهم الكاتب في المعتقل الذي سبقهم هو إليه من مواقع أخرى لا تقل إثارة في رسالتها ومحتواها وتنانجها على مجمل التجربة الكفاحية الفلسطينية.

وأهمية المحاولة وصديقيتها تكمن في انها رواية لأشخاص ؟ أبطال. قاموا بفعل. ويسجلونه بصورة حية غير منقولة عن آخر، إلا لتاكيدا ما أو إضافة ما على حدث تفصيلي هنا، أو مربع فسيفسائي في صورة الواقعة؟ البطولة التي سطرها الخيم في المواجهة من دون استحضار أو مقاربات مع امكنة أخرى، كما ورد في الكتاب.

الصورة الكلية بهذا المعنى لا تزال ساخنة حية متواصلة، ما يجعل التاريخ الرسمي مشوشاً ويفتقد لعناصر التحقق من صدق التجربة. لذلك، فإن هذه الرواية تعتبر كتابا في وقته. وهو يسد فراغاً في الصورة التي لدينا عن الحقيقة وعن المواجهة في تعدد امكنتها وتوزعها الجغرافي والإنساني بين صورة البطولة وصورة الضحية التي تتأرجح بينهما المفاهيم المتعلقة بتقييم التجربة.

إذاذا كانت شهادات الكتاب تنقل تفاصيل معركة جنين ولمحة مخيمها، وتمجد البطولة الفردية واتخاذ قرارات بعيداً عن الإجماع التنظيمي والوطني، وتحول الخيم معها إلى رمز للمقاومة والصدوم على الرغم من فقر الإمكانيات قياساً بحجم الآلة العسكرية الإسرائيلية وقوة نيرانها، فإن بعض التفاصيل المذكورة قد تفيد لا في تأكيد الحقيقة فحسب، بل في تقويم أفكار شعبية وحروب شائعات وازاء مشبعة بالأيديولوجيا في الإطار العام للمواجهة الفلسطينية الإسرائيلية.

الكتاب سرد أشبه بالحكايا عن قصص متناثرة من حصار الخيم، يفقد مقومات العمل التوثيقي المنهج، إلا أنه استطاع أن ينقل للقارئ جزئيات صغيرة في معركة، ووفق تجارب يمكن أن تشكل في المستقبل مادة خأماً للبناء عليها قبل أن تضع في غايهب الذائكة وتأتي الأيام على تفاصيلها. الكتاب يضم شهادت أربعة من الأسرى ينتمون إلى اتجاهات سياسية خاضت معركة الخيم، وشكلت لجنة للمقاومة، بعيداً عن رغبات تنظيماتها وتشكيلاتها العسكرية، وهي شهادة الحاج علي الصفوري، وشهادة جمال حويل، ويحيى عبد الرحمن الزبيدي، وعبد

* وليد دقة. رام الله . المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية(مواطن) اواخر، 2004، 125 صفحة.

عرض كتاب «يوميات المقاومة في مخيم جنين»:

ملحمة في شهادات صناعها

الجبار خليل الخصاص. والنسيج الحقيقي للكتاب يتألف من شهادة علي الصفوري، وجمال حويل، وحملت هاتان الشهادتان أبعاداً سياسية واضحة أعطت مدلولات بعيدة لوقف الرافضين الخروج من المخيم، والتمسك بخيار المقاومة حتى الطلقة الأخيرة، وعلاقة هذه الأطراف بمرجعياتها السياسية.

والشهادات حملت طابعاً تلقائياً لوصف أحداثك أو تجاربك أو قصص استشهاده وجرح مقاتلين سطوراً أمجاد هذه الحركة بدمانهم، ولم تقدم شهادة يومية لتفاصيل عن حياة المخيم والناس، لكنها أقت الضوء على مجموع معارك شكلت مجتمعة صور الصمود.

علي السعدي، علي الصفوري، الحاج هاون، من الأسماء البارزة في مواجهات المخيم، وواحد من ٢٧ مناضلاً حوصروا في أحد بيوت المخيم بعد أن تم تدمير وتجريف غالبية منازلها، يروي لنا تجربته التي عاشها، والصفوري من سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي.

وينقل في شهادته تجارب واستخلاصات الاحتجاجات التي سبقت المخيم، وإنها هي التي حضت المدافعين على رسم خطة لحماية المخيم والنود عنه. وبحسب السعدي، فقد شكّلت قيادة موحدة ضمت من لهم خبرة سابقة في القتال، ومنهم محمود طولية، وطه الزبيدي، وأبو جندل الذي يستحق كل أوسمة الشرف، وكان مسؤولاً عن المنطقة الغربية في المخيم، وانضم إلى اللجنة شباب من كتائب شهداء الأقصى، وكتائب القسام. كانوا تابعين لقوات الأمن الوطني بعد صدور قرار لهم بالانسحاب.

وأشار الصفوري في شهادته إلى أن «أوامر بالانسحاب من المخيم قبل الاحتجاج الأخير جاءت إلى كل الفصائل العسكرية من قياداتها السياسية، بما فيها سرايا القدس، ومنمن اتصلوا بنا عطا أبو ارميلة، والشيخ جمال، والشيخ بسام، وبالفعل انسحبنا من المخيم باتجاه جنين، وجمعنا الأمن الوقائي، ووضعنا حين أمانكن محددة، انا مثلاً وضعت في بيت مقابل مستوطنة «حديم»، وهذه المستوطنة كانت قريبة بحيث يمكنكم إطلاق النار علينا من بندقية (١٦)، ونحن داخل البيت، عندها أدركنا أن هناك خديعة، وقد تكون لعبة سياسية، يدخل الجيش المخيم، ويفتشه، ويسجل موقفا، أدركنا ذلك، واتصلنا بالإخوان من المقاومين والعسكريين، وعدنا في اتجاه المخيم، واستمرت هذه العودة حتى الساعة الثالثة صباحاً، وفي هذه الأثناء كان الجيش الإسرائيلي يتقدم باتجاه الخيم، ولم يستطع الدخول. وحاول الأمر ذاته في الاحتجاج الأخير، وكانت هناك وشوشة بين جهازين أمنيين فلسطينيين مع بعض المقاتلين من كتائب شهداء الأقصى الذين رفضوا الأوامر.

ويظهر أن هذه التجربة إضافة إلى تجربة رسالة الضمانات التي قدمتها سرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى ووافقت عليها حماس بصورة مبدئية، إلى القيادة الفلسطينية بموافقتها على وقف العمليات ضد المدنيين قبل، شكلت حافزاً لنا على المقاومة وعدم الاستجابة إلى الموقف السياسي، ودفعت إلى المقاومة وعدم الثقة بكل الوعود المتوعدة لهم..»

وجاءت تجربة الخيم لتؤكد الأمر من وجهة نظر المقاومين. ويقول الصفوري، «لتقى أبو جندل مكالة هاضمية من قائد المنطقة أبلغه فيها بأن عليه الانسحاب

فوراً هو ومجموعته، فرد عليه بالرفض وكسر جهاز هاتفه بعد أن أنهى المكلة.

ولم يواجه المقاتلون مشاكل في الغذاء والماء إلا بعد خروج أهل المخيم الذين اتخذ قرار بمغادرتهم بعد القصف العشوائي للمخيم، وتجريف الخيم، أي بعد اليوم التاسع، حيث وجدنا كمية من التمر وزعت على المقاتلين وأصبحت هي وجبة الغذاء اليومي، وكانت أم مروان الوشاحي تحضر لنا الطعام، وظلت على هذه الحال حتى بعد استشهاد ابنها وإلى أن أطلق جنود الاحتلال النار عليها وهي تحمل الطعام على رأسها.»

وجاء علي الصفوري في شهادته على الكثير من التفاصيل والتفاصيل الصغيرة، من استشهاد محمود طولية ومجموعته التي دافعت عن الخيم من الجهة الجنوبية بعد أن حوصر في حارة الحواشين ... «هذه العملية أدت إلى إصدار أوامر جديدة إلى المجموعات بالتزام أماكنها، وكان ذلك في اليوم السابع للاحتجاج.»

كما عدد الصفوري في شهادته معظم أسماء الشهداء من المقاتلين ومن أهل المخيم، وقتلى الجيش الاسرائيلي في هذه المعركة، وتدمير ٩٠% من مخيم جنين، وتعرض لقضية الاستشهاديين، وكيف جاءت بنتائج سلبية، وأعطت مبرراً لإسرائيل بتدمير المخيم، على الرغم من محاولات تجاوز لوقف بإطلاق شائعات من نوع استشهاد جميع «الطوبين» في المخيم ومن بينهم، هو شخصياً. وأشار إلى قضية فيها نوع من الطرافة، وكيف استقبل المخيم الاحتجاج الإسرائيلي، في مراسم احتفالية، بإطلاق ألعاب نارية وطبول حرب. ووصف المعركة التي قتل فيها ١٣ جندياً إسرائيلياً وصفاً دقيقاً لتفاصيل المعركة ومجرياتها، وهي المعركة التي شكلت مقدمات نهاية أسطورة مخيم جنين، عندما بدأت قوات الاحتلال بتدمير المبنى بصورة جنونية بعد اشتباكها مع مجموعة علي الصفوري من الساعة السادسة صباحاً حتى الواحدة ظهراً في محاولة لإخلاء الجنود الجرحى، وأن النهاية كانت تجمع جميع المقاتلين الذين صدوا في المخيم، وكان عددهم ٢٧ مقاتلاً، وكيف تمت الاتصالات من أجل أن يسلكوا بعد أن أصبحت إمكانيات الصمود معدومة، وهي العملية التي قادها جمال حويل.

ويصف حويل حول عملية إخلاء المستشفى التي قادها هو في شهادته بالقول «بدأت الاتصالات بعد أن تاكدنا أن وضعنا خطير، وكان الاتصال الأول مع جما محاجنة من مؤسسة بيتنسلم، وبعدها تحدث معي شخص يدعى قاسم من القنصلية الأمريكية، وبلغنا أنه سيق الموقف عبر للحق العسكري في السفارة الذي تحدث مع الإسرائيليين ليوقفوا العملية حولنا، ومن ثم تحدثنا مع الفضائيات وشرحت لها الموقف، وبعد ذلك اتصل بنا عدد من الشخصيات السياسية والأمنية الفلسطينية، وقال لنا صائب عريقات إنه تم تنسيق الموقف مع زيني، لكنه لا يضمن حياتنا، لأن الإسرائيليين لا يمكن الوثوق بهم، وبعد ذلك تحدث معي الناطق الرسمي باسم الجيش، وطلب منا خلع ملابسنا، رفضنا واكتفيتنا برفع القمصان، وتم نقلنا إلى قسم التحقيق في الجلمة.»

وأشار حويل في رسالته إلى عدد من القضايا الخاصة التي تربط تنظيم «فتح»

يوميات المقاومة

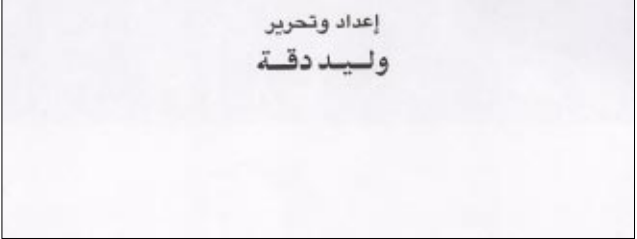
في مخيم جنين

٢٠٠٢



إعداد وتحري

وليد دقة



بكتائب شهداء الأقصى، وعرج على علاقتهم بمنير مقده الذي قدم لهم الدعم دون أن يطلب منهم أي مواقف تتقاطع مع إيران، وتحدث عن مرجعيات كتائب شهداء الأقصى، وعن خلافات بينهم وبين المستوى السياسي، لذلك حاولنا الابتعاد بعملنا العسكري عن مثل هذه الأمور، ومرجعيتنا العليا ككتائب لم تعدد المخيم. ويضيف أن الإرباك الذي اعترى الموقف السياسي أثر سلباً على عمل بعض الأخوة في الجهاز العسكري. وأشار إلى أخطاء في عمل كتائب شهداء الأقصى والجهاد وحماس، واعتبر بعضها قاتلة إذ لم يكن العمل دائماً ناجحاً، وساهم في وضوح الرؤيا السياسية، ومن هذه الأخطاء توقيت بعض العمليات مع وجود شخصيات سياسية ومبعوثين دوليين للمنطقة، اعتقاداً منهم أن هذه العمليات توصل رسائل. ويظهر مجموع الشهادات علاقة ملتسبة مع المستوى السياسي، لكنها متناغمة إلى حد كبير مع طرائق العمل المتبعة، وأصبحت جزءاً من اللعبة السياسية، سواء في استجابتها أم رفضها لقرارات المستوى السياسي. أ يوميات المقاومة في مخيم جنين، وليد دقة. مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، اواخر ٢٠٠٤، ١٢٥ صفحة.

اللاجئون لايبالون بها

المخيمات الفلسطينية ومشاركتها في انتخابات المجالس المحلية



سليم تماري : قانون اردني اخرج المخيم من اطر التنظيم البلدي

ساجي سلامة: لاتشريعات نهائية حول وضع اللاجئ في الانتخابات

كمال قبعة: اللاجئ يحتمي بالمخيم خوفا من حلول سياسية

رام الله / زلفى شعروو:

هل هناك ما يمنع مشاركة اللاجئين في انتخابات المجالس المحلية في الضفة الغربية، ولا يمنع مشاركتهم في قطاع غزة؟ وما الذي يمنع هذه المشاركة في المخيم، في حين يتيحها للاجئين خارج الخيم؟ وما الذي يحمل بعض الأفكار والمواقف الخاصة في قضايا اللاجئين صفة القداسة في بقعة محددة ولا يحتملها المعنى ذاته في بقعة أخرى؟

وهل صحيح أن مشاركة اللاجرئ في انتخابات المجالس المحلية التي تحمل طابعاً محلياً وخدمياً أهم في تأثيرها على اللاجئين، من مشاركتهم في الانتخابات التشريعية التي تحمل أبعاداً سياسية قد تؤثر على المستقبل السياسي للاجئين أنفسهم؟ وما السر في بعض المواقف المنشجة التي تصدر عن اللاجئين أنفسهم وتعيد الأمر إلى خوفهم على حق العودة، وإن تغير الموقف مؤخراً نحو الحفاظ على بقاء المخيم كما هو ومنع تدويره في التجمعات المحيطة به؟ وهل هي شعارات تختبئ وراءها غايات ومصالح ومواقف سياسية، تطاول تغيرات في الدور السياسي والوطني للمخيمات التي شكلت وقوداً للثورة الفلسطينية في الخارج والداخل؟

وربما يكون هذا مدخلاً إلى فهم انقسام المستوى السياسي الفلسطيني في ندوة أريحا التي عقدت في العام ١٩٩٧ لنقاش مشاركة اللاجئين في الانتخابات بين مؤيد لهذه المشاركة وبين رافض لها، خوفاً على حقوق اللاجئين، وحفاظاً على دور وكالة الغوث، فهل يخاف البعض من بعض التأثيرات الاجتماعية لهذه الانتخابات مستقبلاً، وبخاصة في الضفة الغربية التي يعيش فيها اللاجئون على هامش المدن.

ندوة أريحا هذه خرجت بتوصية إلى القيادة تقضي بمشاركة اللاجئين في قطاع غزة في الانتخابات بسبب التداخل الحاصل بين المخيم والمدينة وصعوبة الفصل بينهما مثل جباليا، وتحوله أمراً واقعاً، وعدم اجرائها هي الضفة. ويبلغ عدد المخيمات في الضفة ١٩ مخيماً يشكلون ٢٥% من عدد السكان، وفي قطاع غزة ٨ مخيمات يشكلون ٧٥% من سكان القطاع.

قضية مشاركة اللاجئين في الانتخابات المحلية أطرح كلما أصبح موضوع الانتخابات استحقاقاً يجب التعامل معه، ولقد احتدم النقاش حول هذه القضية من جديد، وأثيرت التساؤلات حول موقع سكان المخيمات ودورهم في الانتخابات المحلية، وقد طُرح هذا الموضوع على طاولة البحث سابقاً في مؤتمر الفارعة في ١٩٩٥/١٢/٨، وورشه بلاطة في ١٩٩٥/٢/١٣، وورشه أريحا في ١٩٩٧/٤/٢٦، والورشه التي دعت إليها دائرة شؤون اللاجئين في الضفة وغزة في ٢٠٠٤/٦/٢٢، واجمع فيها على ضرورة إجراء نوع من الانتخابات في المخيمات، ولكن ليس على أساس قانون المجالس المحلية. والغريب في الأمر أن استطلاعات الراي جاءت لتؤكد رغبة اللاجئين في هذه المشاركة على الرغم من تشكيل البعض بهذه النتائج لأغراض سياسية، وتم الاعتداء على واحد من هذه المراكز للسبب ذاته.

عن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية «مواطن»

سيصدر قريباً

عزمي بشارة

١. من يهودية الدولة حتى شارون

٢. الجبل ضد البحر

٣.الحداثة المتقهقرة

٤. المانحون، والمنظمات الدولية والمنظمات غير

الحكومية، بروز النخبة الفلسطينية المعولمة

٥. دراسات اعلامية (٢)

٦. النظام السياسي الفلسطيني بعد او سلو – طبعة ثانية